التفريق في الشهادة

الإيمان باليوم الآخر

حصة اليوم عن الإيمان باليوم الآخر وبيوم القيامة وما فيه من بعث وحساب وثواب وعقاب . والإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان ولا يكون الإنسان صحيح الإسلام إلا إذا آمن إيماناً راسخاً بأن هذه الحياة الدنيا بما فيها ومن فيها ستنتهي في الوقت الذي يريده الله تعالى ، وستعقبها حياة أخرى هي الحياة الباقية الدائمة .

والاعتقاد باليوم الآخر ضروري لحياة الإنسان الطيبة ؛ حتى تطمئن نفسه بأن وراء الحياة حكمة ، وأن الدنيا مصيرها إلى زوال ، والله تعالى أمرنا أن نعمر حياتنا بإخلاص العبادة له ، والأقوال والأعمال الصالحة من إعمار الأرض ، وتنميتها ، وتعاون يعود بالخير على الفرد والمجتمع ، وسوف نلقى جزاء أعمالنا خيراً أو شراً ، فإن لم نلقه في الدنيا فالجزاء مضمون في الآخرة قال تعالى : ﴿وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧] .

نبدأ الآن مناظرة اليوم .

- لكن سارة غائبة اليوم يا أستاذ .

وقالت داليا : أنا حاضرة ومستعدة يا أستاذ .

- هل نؤجل المناظرة إلى الحصة القادمة أما نعقدها اليوم ؟

- اليوم يا أستاذ .. اليوم يا أستاذ .

– ومن يقوم بدور سارة ؟

لم ترفع طالبة يدها . كرر الأستاذ السؤال ، وأخيراً قالت شروق مع إني لا أوافق سارة في كثير من آرائها إلا أني موافقة على أن أقوم بدورها اليوم .

– أتذكرين ما سؤال سارة الذي سألته الحصة الماضية ؟

– نعم يا أستاذ .. إنها كانت تسأل عن الحكمة من التفريق في الشهادة بين الرجل والمرأة .

– وأنت يا داليا ما هو ردُّك عن هذا التساؤل ؟

قالت داليا : يقول تعالى في آية الدِّين ...

آية الدَّين بفتح الدال .. أنا قلت أنا غير مطمئن لك يا داليا .

يقول الله تعالى في آية الدَّين : ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى﴾ [البقرة: ٢٨٢] .

– ﴿تَرْضَوْنَ﴾ بفتح الضاد وليس بضمها ، ﴿فَتُذَكِّرَ﴾ بفتح الذال ، وتضعيف الكاف وفتحها وليس فتذْكُر بتسكين الذال وضم الكاف .

ثم قرأ الأستاذ نبيل الآية قراءة صحيحة .

قالت داليا : يبين الله تعالى علَّة جعل المرأتين بمنزلة رجل واحد في الشهادة بقوله ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى﴾ أي حذَّر أن تخطئ إحداهما لعدم ضبطها وقلَّة عنايتها فتذكِّر كل منهما الأخرى بما كان ، فتكون شهادتها متممة لشهادتها.

لماذا اختصَّت المرأة بعدم ضبط الشهادة ؟

قالت شروق وهي تمثل طريقة سارة في الكلام والحركة : ولماذا اختصَّت المرأة بالخطأ وعدم الضبط وقلة العناية ، أليس هناك من الرجال من يخطئون ولا يضبطون بل إن منهم من يشهد زوراً ؟!

ضحكت الطالبات وصفقوا لإجادة شروق تقليد سارة بالضبط .

قال الأستاذ بحزم : احذري أن تكوني من المستهزئين يا شروق فالله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ﴾ [الحجرات:١١] .

– ولا والله يا أستاذ ليس سخرية فأنا أحب سارة وهي من أعز صديقاتي لكن أردت بتقليدها أن أقول : هذا هو رأيها وليس رأيي .

– عذر مقبول يا شروق . والآن ما ردك يا داليا .

– ....

قال الأستاذ مازحاً : ألم أقل إنك ستضيعين القضية .. هل هناك ردٌّ عند إحداكن.

– ....

– أنا مضطر لأن أردَّ والحمد لله أنَّ سارة غير موجودة ربما منعتني هذه المرة من الردِّ .

ضحكت الطالبات وأكمل الأستاذ : أثبت العلم الحديث أن المرأة الحامل تصاب ذاكرتها بالضعف والاضطراب أثناء الحمل وربما تعاني من ضعف الذاكرة لمدة عام كامل أحياناً بعد الولادة بسبب تناقص في عدد خلايا الذاكرة.

قالت شروق وقد تخلَّت عن تقليد سارة وإن كانت تتحدث بلسانها : أنا أعلم أن الحمل يؤدى الى حالة عامة من الإرهاق ولكن الأمر ليس كارثى والنساء فى مختلف أنحاء العالم يعملن في المحاسبة والهندسة والتدريس فى فترة الحمل وما تلاها ولم تَحْرِم أى دولة محترمة المرأة من حقِّ العمل أو من الشهادة لكونها حاملاً ، بل على العكس يمكن أن القول أيضاً إن مريض السكر يعانى من اختلال الذاكرة فهل نطالب بحرمان مريض السكر من حقوقه المدنية ؟!

قال الأستاذ نبيل مازحاً : لقد تقمَّصت دور سارة تماماً ، وربما لو كانت سارة موجودة ما زادت على قولك شيئاً .

نظر الأستاذ إلى داليا وقال وهو يضحك : وما ردُّك يا داليا فيم تقول شروق .. أقصد سارة ؟!

– .....

فأكمل مازحاً : أنا كنت أعرف أنك لن تصمدي في هذه المناظرة ، أنت تخصص أزياء ، وأفلام ، ومسلسلات ، وأغاني ..

ضحكت الطالبات ، وقالت داليا وهي تضحك : أنت ورطتني يا أستاذ في موضوع صعب ، ولو كنت قد كلَّفت أي طالبة من اللاتي يضحكن الآن لما استطاعت الإجابة أيضاً ...

– هل عند إحداكن إجابة عن سؤال شروق ؟

عبد الله وعبد الحكمة

قالت هاجر : الله تعالى عندما يشرِّع شيئاً فحتماً يكون هذا التشريع لحكمة بالغة سواء علمناها أو لم نعلمها ؛ فالله تعالى لا يظلم خلقه ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]

وقالت منار : لا ينبغي للمؤمن أن يعترض على شرع الله تعالى بدعوى أنه لا يعرف الحكمة منه ، وسمعت من الأستاذ الدين العام الماضي يقول : إن من لا ينفذ أوامر الله تعالى إلا إذا أدرك الحكمة منها فإنه يكون عبداً للحكمة وليس عبداً لله .

قال الأستاذ : نعم نحن مطالبون بتنفيذ أمر الله ، وإن خفيت علينا الحكمة منه، ولكن يجب علينا البحث عن الحكمة في التشريعات الإلهية على الأقل للرد على من يطعن في الدين .

الحكمة من التفريق بين شهادة الرجل والمرأة

قالت شروق مازحة : وما نتيجة بحثك يا أستاذ عن الحكمة في التفريق بين شهادة الرجل والمرأة ؟ أليس ذلك انتقاصاً لقدر المرأة ؟

– لا يظنن أحدٌ أن في ذلك انتقاصاً لقدر المرأة ، بل هو تنزيهٌ لها عن ترك مهمتها الأساسية في التربية والقرار في البيت، إلى مهمة أقل شأناً وسمواً، وهي

ممارسة التجارة والمعاملات المالية! فمن المعلوم أن الشهادة على الدين من المعاملات المالية التي تتم خارج البيت والمرأة ليس من شأنها الاشتغال بالمعاملات المالية ونحوها ، فلذلك تكون ذاكرتها فيها ضعيفة ولا تكون كذلك في الأمور المنزلية التي هي شغلها ، فإنها فيها أقوى ذاكرة من الرجل ، يعني أن من طبع البشر ذكراناً وإناثاً أن يقوى تذكرهم للأمور التي تهمهم ويكثر اشتغالهم بها .

الحالات التي تكون شهادة المرأة مثل شهادة الرجل

وليعلم أن هذا الحكم . أعني كون شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل .

ليس مطرداً في جميع الأبواب، بل إن شهادة المرأة مثل شهادة الرجل في بعض الأحكام، كشهادتها في دخول شهر رمضان، وفي باب الرضاع، والحيض، والولادة، واللِّعان وغير ذلك من الأحكام.

والسياق الذي ورد فيه هذا الحكم سياق يعنى بتحقيق العدل ورعاية المصلحة العامة للناس ، ولا علاقة له بتفضيل الرجل على المرأة لأن عملية التفضيل هذه قد حسمها الله تعالى فقال ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:١٣] وقول النبي ﷺ في خطبة الوداع " يا أيها الناسُ ! إنَّ ربَّكم واحدٌ ، وإنَّ أباكم واحدٌ ، ألا لا فضلَ لعربيٍّ على عجميٍّ ، ولا لعجميٍّ على عربيٍّ ، ولا لأحمرَ على أسودَ ، ولا لأسودَ على أحمرَ إلا بالتقوى إنَّ أكرمَكم عند اللهِ أتقاكُم، ألا هل بلَّغتُ ؟ قالوا : بلى يا رسولَ اللهِ قال : فيُبَلِّغُ الشاهدُ الغائبَ "

[صححه الألباني] .

قالت شروق وقد استهواها المراء والجدل : إن الحيض والحمل ليسا إعائقين عن أداء الشهادة ، نعم .. قد يسببان بعض الإرهاق والتعب لكن الأمر يبقى تحت السيطرة .

دق جرس الحصة أثناء كلام شروق فقال الأستاذ مازحاً : نكمل الموضوع الحصة القادمة إن شاء الله ، وأتمنى أن تعود سارة إلينا بالسلامة لترحمنا من جدل شروق البيزنطي .

ضحكت الطالبات ، وخرج الأستاذ .

***